رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شمس الهدى والإيمان

سارة وهاجر

٥

من قصص القرآن

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شمس الهدى والإيمان

من قصص القرآن

سارة وهاجر

اعداد: عبد الرؤوف دقاق
نهاد حناوي
مراجعة: محمد كمال

جميع الحقوق محفوظة لدار ربيع ولا يجوز اخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة او النسخ أو التصوير أو التسجيل أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية إلاّ بإذن مكتوب من الناشر. ترسل جميع الاستفسارات إلى دار ربيع.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إبراهيم وسارة

أقام «إبراهيم» في بلدة «حرّان»[1] وتزوج بابنة عمه «سارة» ولكنه ضاق ذرعاً[2] بهذه البلدة، إذ وجد القوم يعبدون الكواكب من دون الله، فأراد أن ينبههم إلى خطئهم ويرشدهم إلى فساد اعتقادهم، فدعاهم إلى الإيمان بالله تعالى، فلم يستجيبوا إليه، فآلمه ذلك، فعزم على الهجرة من هذه البلاد...

توجه إبراهيم، ومن آمن معه، إلى أرض الشام التي كان يطلق عليها أرض كنعان، فأقام فيها ردحاً طويلاً من الزمن، وفي إحدى السنين أصاب أرض الشام مَحْلٌ[3] وعطش هائلان، فاضطر الناس للهجرة طلباً للقوت والكلأ[4] والماء، وكان أن نزح[5] أيضاً إبراهيم قاصداً أرض مصر.

الملك الطاغية وسارة

كان حاكم مصر في ذلك الزمن، حاكماً طاغيه جباراً، قد بث العيون والرقباء في كل مكان، ليطّلع

---

(١) حرّان: بلدة في تركيا.
(٢) ضاق ذرعاً: تضايق ولم يعد يحتمل.
(٣) المحل: حبس المطر عن الأرض.
(٤) الكلأ: العشب.
(٥) نزح: رحل.

على كل ما يجري، ويعرف كل شاردة وواردة[1] في مملكته...

فقد عرف أحدُ رجال الملك بأمر إبراهيم، وكيف أن زوجته سارة رائعة الحسن والجمال، فأسرع يُبشِّرُ الملكَ بهذا الأمر، إذ أن من عادة هذا الملك أن يضم إلى حريمه وقصره كل امرأة جميلة تنال إعجابه.

لما سمع الملك الطاغية بأمر إبراهيم وزوجته «سارة» الحسناء، أمر رجاله بإحضار إبراهيم إليه، فلما مثل بين يديه بادره بالسؤال عن المرأة التي برفقته ودرجة صلته بها،...

وهنا فطن إبراهيم إلى مراد الملك، وأدرك مقدار الخطر الذي يُحدِق[2] به، فأجابه بأنها -أي المرأة- أخته وهو يقصد في قرارة نفسه[3]، أنها أختـه في الإيمان بالله تعالى، وعلى هذا لم يشأ إبراهيم أن يُصَرِّحَ بحقيقة الأمر، خوفاً من بطش الملك به، حتى يستأثر بها..

عندئذ طلب الملك من إبراهيم إحضار «سارة» إليه على جناح السرعة.

---

(١) كل شاردة و واردة : كل شيء صغير أو كبير .

(٢) يحدق : يحيط .

(٣) قرارة النفس : أعماق النفس .

رجع إبراهيم إلى بيته حزيناً مضطرباً، وأخبر «سارة» بما جرى له مع الملك، وطلب منها الاستعداد للتوجه إلى القصر الملكي، ودعَوَا ربهما أن يصرف عنهما شر هذا الطاغية الأثيم .

دخلت «سارة» قصر الملك فأحاطت بها الوصيفات والجواري يقدِّمن لها كلَّ فاخرِ الثيابِ وثمينِ اللآلىءِ والمَرجانِ... وعاطرِ أنواعِ المِسْكِ والطِّيبِ والرَيْحانِ...

ولكنها بقيت حزينةً، بائسةً، صامتةً، غير عابئة بهذا الزخرف البراق، ولا بذاك البذخ[1] الخلاب، فلم تكترث[2] بهذه القصور الزائلة، وظلت وفيةً لزوجها، مستمسكة بدينها، وجلست مكتئبة متألمة، تدعو الله من أعماق قلبها أن ينجيها من هذا الأمر الخطير، وانتبذت مكاناً قصياً[3]...

ولما أقبل الملك عليها، ورأى ما بها من أسى وقلق، حاول أن يخفف من حزنها، إلا أنها ازدادت ألماً واضطراباً، فجلس بجانبها، ورغب أن يمسك يدها علها تلين وتهدأ، ولكن يده تحجرت فأصاب الملك

---

(١) البَذخ : الترف – الرفاهية .
(٢) لم تكترث : لم تُبالِ، لم تأبَهْ .
(٣) انتبذت مكاناً قصياً : جلست بعيدة .

الفزع والخوف الشديد، كما أنه عرف سر عظمتها وإيمانها، وأدرك أن في الأمر سراً، فقال لها متوسلاً:

اطلبي من اللهِ أن يعيد يدي إلى ما كانت عليه، فأطلق سراحك، ولاأمَسَّكِ بسوء، فدعَتِ اللهَ، وحقق طلبها... لكن الملك حَنَثَ[1] بوعده وعاود الكَرَّةَ[2] ثانيةً محاولاً الإمساك بها والتقرب منها.. فما هي إلا لحظةٌ، حتى عادت يده مرة أخرى فتحجرت ثانيةً، عندئذ أصيب الملك بالهلع[3] الشديد والجزع الرهيب على حياته...

فتوسل إليها أن تدعو الله أن يعيد له يده كما كانت، ووعدها بأنها ستكون آمنةً مطمئنةً حرةً بنفسها...

فتوجهت «سارة» إلى الله أن يحقق كل ما طلبه منها الملك إن كان صادقاً، وفعلاً تم كل ذلك، ففرح الملك فرحاً عظيماً، وَرَدَّ «سارة» إلى زوجها «إبراهيم» ووهبها جاريةً تدعى «هاجر».

زواج إبراهيم من «هاجر»

خرج إبراهيم من أرض مصر، وجعل وجهته

---

(١) حنث بالوعد: لم يُنفّذه.

(٢) عاود الكرّة: حاول ثانيةً.

(٣) الهلع: الخوف، الرعب، الفزع، الجزع.

فلسطين، تلك الأرض المقدسة، فانطلق حتى ألقى بها عصا التسيار .

كانت «سارة» عقيماً[1]، وكان يحزنها أن ترى بعلها[2] الوفي، يتطلع إلى النسل، فأشارت على زوجها «إبراهيم» أن يتزوج هاجر رغبة منها في أن يرزقه الله منها ولداً، يسعد به، فتشرق له الحياة وتبتسم، بعد أن كانت عابسة مكفهرة...

فانصاع[3] لرأيها وخضع لمشيئتها[4]، فرزقه الله ولداً من زوجته «هاجر» سماه «إسماعيل» فانتعشت نفس إبراهيم وَقَرَّت عينهُ[5]

لكن «سارة» زوجته العقيم، ثارت في نفسها الغيرة، وأخذ الحسد يقض مضجعها، وعصفت بها أعاصير قوية من الحزن والشجن[6]، مما نغص عليها حياتها وحياة زوجها.

وخيمت الكآبة عليها فندمت على موافقتها وتشجيعها لزوجها، فأصبحت لا تطيقُ النظر إلى الغلام، ولاتحتمل

---

(١) امرأة عقيم : لاتلد .
(٢) البعل : الزوج .
(٣) انصاعَ : خضعَ ، قَبِلَ .
(٤) المشيئة : الإرادة .
(٥) قرَّت عينه : فرح .
(٦) الشجن : الحزن الشديد .

رؤية «هاجر» فلم تجد دواءً لعلتها، وحلاً لمشكلتها إلا بإقصاء[1] الغلام وأمه عن دارها، فتمنت لزوجها أن يذهب بهاجر وطفلها إلى أقصى مكان .

أذعن[2] «إبراهيم» عليه السلام لرغبة زوجته «سارة»، وكأن الله أوحى إليه أن يطيع أمرها ويستجيب إلى رجائها، وسار مصطحباً زوجته هاجر وطفله «إسماعيل» الذي كان رضيعاً، ترشده إرادة الله وتحدوه[3] عنايته، فطال السير وامتد الطريق، إلى أن أمره الله بالتوقف في أرض خالية جرداء بعيدة عن العمران، حيث ستكون هذه الأرض هي المكان الذي سَيُشَيَّد[4] عليه البيت الحرام..

ترك «إبراهيم» عليه السلام «هاجرَ» وطفلَهُ «إسماعيلَ» في هذه الأرض الموحشة وهما ضعيفان لا يملكان سوى مِزْوَدٍ[5] به قليل من الطعام ووعاء فيه شيء من المـاء، إلاّ أنَّ قلبيهما كانا يعمران بالإيمان بالله تعالى.

ولم ينفع توسلُ هاجرَ أو استِعطَافُها لزوجها «إبراهيم» عليه السلام في أن يبقى بجانب زوجته وطفله،

---

(١) إقصاء : إبعاد .
(٢) أذعن : خضع – رَضِيَ مُكرهاً .
(٣) تحدوه : ترافقه .
(٤) سَيُشَيَّدَ : بنى .
(٥) مِزوَد : مايوضع فيه الطعام .

فتركهما فريسة للجوع والعطش، ولفح الشمس وحرارة الجو اللاهبة،... ولكنه لم يستمع إلى توسلاتها، ولم تلن نفسه لحالها... بل أوضح لها، أن ذلك أمر الله وتلك إشارته، فلابد من الخضوع لحكمه والتسليم لأمره..

فلما علمت «هاجر» ذلك كَفَّتْ[1] عن جدالها[2] معه واستسلمت أيضاً لأمر الله، واستراحت إلى رحمته، وقالت لنفسها: إن الله رحيم، إن الله سيحفظنا ولن يُضَيِّعَنَا أبداً .

انطلق «إبراهيم» عليه السلام وقلبه يتفطر[3] أسىً وألماً على فراق زوجته وطفله، إنه لاشك، كان ينفذ إرادة الله ويدفعه الإيمان به، وفي مقامه من النبوة، لابد أن يصبر على البلاء، ويستسلم للقضاء، لذلك سار إلى وطنه، وخلَّف وراءه وحيده في تلك البقعة النائيةِ، داعياً الله أن يشمله بعنايته، فيقول الله تعالى:

(ربَّنا إنِّي أسكَنتُ من ذُرِّيَتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ عِنْدَ بيتِكَ المُحَرَّمِ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَلاةَ، فاجْعَلْ أفْئِدَةً من

---

(١) كَفَّ : توقف .
(٢) جدال : حوار – نقاش .
(٣) يتفطر : يتقطع .

النَّاسِ، تَهْوِي إليهِمْ، وارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْن)[1]

نبع زمزم

رضخت الأم «هاجر» لأمر الله، وتحلَّتْ بالصبر، وأخذت تأكل من الزاد القليل وتشرب من الماء القليل إلى أن نَفِدَ الطَّعَامُ والمَاءُ، فعَطِشتْ عطشاً شديداً، كما عطشَ طِفْلُها الصغير.

فأخذتْ تنظرُ إليه بكل حنان وألم، وهو يتلوى من العطش والجوع أمام عينيها وهو فِلْذَةُ كَبِدِهَا[2] حملَتْهُ وهْناً على وهنٍ[3]...

فصبرت وتحملت هذا المشهد الأليم. إلى أن بلغت النهاية في درجات التحمل.

فهبت واقفةً والدموع تسيل على خديها، وسارت هائمةً[4] على وجهها، علها تجد طعاماً أو ماءً تسدُّ بهما الجوع والظمأ اللذين كادا أن يقتلا ابنها الصغير، الممدد على الأرض الحارة الجرداء.

---

(١) سورة ابراهيم الآية (٣٧).
(٢) فلذة الكبد: القطعة من الكبد.
(٣) وهناً على وهن: ضعفاً على ضعف.
(٤) هائمة: لاتلوي على شيء، لاتعرف إلى أين تتجه.

صعدت «هاجر» مكاناً مرتفعاً يدعى بـ «الصفا»[1] لعلها ترى ماء ولكنها لم تَرَ شيئاً، فنزلت عن هذا المرتفع وصعدت مكاناً مرتفعاً آخر، محاولةً العثور على قطرات من الماء لتنقذ ولدها من الهلاك، ولكنها لم تعثر على أي شيء، وكان هذا المكان يدعى بـ «المروة».

ثم عادت إلى المكان الأول، ثم قَفَلَتْ ثانيةً إلى المكان الثاني، وهكذا كانت، برغم إرهاقها وإعيائها الشديدين، تهيم من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا سبع مرات وهي تتضرع إلى الله تعالى أن ينقذ ولدها الصغير الذي تركته على الأرض والذي كاد أن يموت عطشاً، ومن هنا أتى مغزى السعي بين الصفا والمروة في الحج.

عادت هاجر الأم إلى طفلها «إسماعيل» فرأته قد أوشك على الهلاك، فقد انقطع غذاؤه وجف ريقه، وخَفَتَتْ أنفاسه، ها هي الأم ترى وحيدها يكاد يسلم روحه، ويجود بنفسه، وهي لاتملك من أمرها شيئاً، ولامعيناً يقف بجانبها... إن ولدها «إسماعيل» من شدة معاناته وإعيائه أخذ يضرب برجليه الغضتين الأرض،

---

(١) الصفا و المروة : جبلان في مكة .

وفَجأة انبجس[1] من الصخر نبع غزير أخذ الماء يتدفق منه، عذباً سلسبيلاً.

فشكرت هاجرُ اللهَ تعالى على رحمته التي أنزلها عليها، وعلى ولدِها، فأخذت تروي ظمأه وظمأها، مما سرها وأسعدها بما لا يوصف، فترى الحياة تدب في جسم ابنها، مقبلاً عليها بلهفة وشوق، فتضمه إلى صدرها فتعلو البسمة وجهها وتنقشعُ[2] السحابةُ السوداءُ التي كانت تظللها زمناً... وكل ذلك بفضل الله وعنايته. هذا هو «نبع زمزم» المبارك، حيث يزدحم حوله الحجاج في كل عام وفي كل وقت، علهم يفوزون بقطرة منه، أو يعودون بشربة من مائه العذب الطهور المبارك.

قصة «إسماعيل»

عندما غادر إبراهيمُ عليه السلامُ زوجتَه «هاجرَ» وولدَه إسماعيلَ» في مكةَ، كان يتردد عليهما من حين لآخر، ليطمئن على ابنه «إسماعيل»، وتوالت الأيام و«إسماعيل» يكبر وينمو، إلى أن حدث أن رأى إبراهيم رؤيا فيها يُؤمَرُ بذبح ولده «إسماعيل». وكان الأب قد بلغ من الكبر عِتِيًّا[3]، فقد تعب وجالد الحياة، وعركه

---

(١) انبجس من الصخر : تفجر ونبع من الصخر .

(٢) تنقشع : تزول .

(٣) العِتِيُّ : التقدم الكثير في السن .

الدهر وأحنت ظهره السنون وكان يأمل أن تقر عيناه بولده الوحيد...

لقد أُمِرَ مرَّةً أن يتركه في مكان قَفرٍ ليس فيه أنيسٌ ولا بشرٌ... فامتثل إلى أمرِ الله، وها هو الآن يتعرضُ لامتحانٍ آخرَ أشدَّ، واختبارٍ أقوى، فهل يوجد ما هو أغلى من الابن على وجه الأرض؟ إنه يُؤمَرُ بذبح ولده.. إنها حقاً لَمحنةٌ لاتطيق أن تتحملها الجبالُ الراسياتُ[1]...

لكن إيمانَ إبراهيمُ عليه السلامُ كان قوياً لايتزعزع، فلم يتردد ولم يضعف، فبادر بقوله لابنه: يابني لقد أمرني الله أن أذبحك فماذا ترى؟. فبادر الابن بالطاعة والموافقة فأجاب:

(يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ، سَتَجِدُنِيْ إنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِيْن)[2]

قال إبراهيم: لقد كنت أعرف أنك ستنفذ أمر الله ومشيئته، فأجابه إسماعيل: ياأبت أرجو أن تشد وثاقي وتحكم رباطي حتى لا أضطرب، كما أرجو أن نكون بعيدين عن أمي، لئلا يشتد حزنها وتفيض عبراتها[3]،

---

(١) الراسيات : القويات الثابتات .

(٢) سورة الصافات الآية (١٠٢) .

(٣) العَبَرات : الدموع .

فأسرعْ ونفِّذْ ما أمرتَ به، واقرأ على أمي السلام، فوضع الأب إبراهيمُ عليه السلامُ سكينَهُ على رقبة ابنه إسماعيل لذبحه، ومر بالسكين على رقبته عدة مرات فلم تذبح ولم تقطع، عندئذ أُمِرَ «إبراهيمُ» بذبح كبش حملَهُ إليه مَلَكٌ من السماء فداء لابنه، لأنه أطاع الله ونجح في اختباره وإيمانه.

قال الله تعالى:

(...يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِيْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِين)[1]

وقال تعالى:

(وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤيا إنا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلاَءُ المُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)[2]

إبراهيم وزوجة إسماعيل

لما شب «إسماعيل» عن الطوق[3]، واستقام عوده،

---

(1) ...

(2) ...

(3) ...

وذاع صيته بين الناس، تزوج إحداهن... فما هي إلا مدة وجيزة حتى اختطف الموت أمه «هاجر» فعز عليه فقدها، وحزن عليها حزناً شديداً، فقد تعهدته في طفولته، وأظلته بحنانها طوال حياته، فكانت له دائماً الركن المكين في المُلِمَّاتِ والعضد القوي في النازلات.

وكان الأب، قلما ينسى ولده وفلذة كبده، لذلك كان يتردد على بيت ابنه من وقت لآخر للاطمئنان عليه... فوفد مرة إلى مكة وأتى بيت ولده «إسماعيل» فلم يجد به إلا امرأة إسماعيل، فسألها عن «إسماعيل» وهي لم يسبق أن عرفته من قبل، فأخبرته، ثم شكَتْ إليه سوء الحال وضيق اليد وشظف العيش... فرأى فيها امرأةً أنانيةً متمردةً ناقمةً[1]، غير راضية بما قسم الله لها، فأدرك أن ابنه «إسماعيل» تَعِسٌ في حياته، غير سعيد، ورأى أنها لا تصلح لابنه زوجاً، فأشاح بوجهه[2] عنها، وهمَّ بالعودة، بعد أن حَمَّلها السلام لابنه، وأوصاها أن تبلغه بأن يُغَيِّرَ عَتَبَةَ داره...

ولما عاد «إسماعيل» إلى بيته سأل زوجته، وكأنه أنس شيئاً، فأجابته وقصت عليه القصة والوصيَّة... فقال: ذاك هو أبي، وقد أمرني بفراقك، غير آسف أو نادم...

(١) ناقمة : حاقدة .

(٢) أشاح بوجهه : أعرض عنها .

ولم يلبث «إبراهيم» عليه السلامُ أن أتى مرة أخرى يتفقد ولده، ليطمئنَّ عليه ويُطفيءَ لهيب شوقه إليه... لكنه لم يجد في البيت إلا امرأة ابنه الثانيةَ وهي لا تعرفه أيضاً، فطرح عليها عدة أسئلة، فأجابته بكل صدق، ولما سألها عن حالها وحياتها، أخذت تلهج بالثناء[1] وتفيض[2] بالحمد، وذكرت أنهما في خير من الله كثير... حينئذ اطمأن قلبه وانشرح صدره، إذ رآها راضيةً قانعةً، شاكرةً، مؤمنةً، فأمرها أن تُقْرِئَ زوجها السلام وتبلِّغَهُ بأن يثبِّت عتبة داره...

وفي المساء، نقلت الزوجة ما حدث لها خلال النهار، فقال لها: إنه أبي، وأمرني ألا أفارقك أبداً وأن أرعاك وأحافظ عليك، وهكذا عاش إسماعيل وزوجه في هناء وسعادة ورزقهما الله بالعديد من الأولاد مَلَؤوا حياتهم وقروا بهم عيناً .

---

(١) تلهج بالثناء : تثابر على الشكر .

(٢) تفيض : تكثر .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من قصص القرآن

١ - قابيل وهابيل
٢ - طوفان نوح
٣ - أهل الكهف
٤ - طالوت وجالوت
٥ - سارة و هاجر
٦ - الملكة بلقيس
٧ - يوسف وإمرأة العزيز
٨ - يوسف السجين
٩ - يوسف الوزير
١٠- لقاء يوسف ويعقوب
١١- موسى والعبد الصالح
١٢- الإسراء و المعراج
١٣- فرعون موسى
١٤- أصحاب الفيل
١٥- حادثة الإفك
١٦- المنافقون

من قصص القرآن رحلة في عالم الأدب الجذاب ..

تتعانق فيها الفكرة بالخيال، وتنبض بالحيوية والحياة في إطار فني يموج بالحركة وصدق التعبير.

وتعتبر المجموعة بحق شمساً من الهدى والإيمان وحريٌّ بكل فتى وفتاة أن يتفيأ ظلال هذه الشمس وأن يُضيف هذه المجموعة القصصية إلى مكتبة الأسرة، لأن فيها من الحكمة الرائعة والمغزى الجميل، والفائدة المرتجاة، ما يجعلها ثروةً فنيّةً قيّمة.

دار ربيع للنشر
RABIE PUBLISHING HOUSE
سورية - حلب - هاتف ٢٢٤٧٠٨